بسم الله الرحمن الرحیم

جامعة إصفهان

كليّة اللّغات الأجنبيّة

قسم اللّغة العربية

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها

شرح الشواهد البلاغية في كتاب العمدة

الأستاذ المشرف:

الدكتور سيد رضا سليمان زاده نجفى

الأستاذ المساعد:

الدكتور سيد على ميرلوحى

إعداد:

زهرا جوادى اصطهباناتى

تاريخ

رجب ١۴٣٢

کلیه حقــوق مــادی مترتــب بــر نتــایج مطالعــات،
ابتکارات و نوآوری های ناشی از تحقیــق موضــوع
این پایان نامه متعلق به دانشگاه اصفهان است.

دانشگاه اصفهان
دانشکده زبان های خارجی
گروه زبان عربی

پایان نامه کارشناسی ارشد رشته زبان و ادبیات عربی

خانم زهرا جوادی اصطهباناتی تحت عنوان

شرح شواهد بلاغی کتاب العمده

(از باب مطابقه تا تسهیم)

در تاریخ ۱۷ / ۳ / ۱۳۹۰ توسط هیأت داوران زیر بررسی و با درجه عالی (نمره ۱۹/۵) به تصویب نهایی رسید.

۱ ـ استاد راهنمای پایان‌نامه دکتر سیدرضا سلیمان‌زاده نجفی با مرتبه علمی استادیار امضا

۲ ـ استاد مشاور پایان‌نامه دکتر سیدعلی میرلوحی با مرتبه علمی استاد امضا

۳ ـ استاد داور داخل گروه دکتر نصرالله شاملی با مرتبه علمی دانشیار امضا

۴ ـ استاد داور خارج از گروه دکتر ماجد نجاریان با مرتبه علمی استادیار از طرف امضا

امضای مدیر گروه

الشكر والتقدير

ربّ أشكرك على نعمك وفضلك الذي مَنَنتَ عليّ وعلى والديّ بأن وفّقتَني لإنجاز هذه الرسالة. ولا يَسعني إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور سيد رضا سليمان زاده نجفي لما قدّم لي من وقته وجهده مُشجِّعا إيّاي على هذه المحاولة مبديًا ملاحظاته القيمة بشأن الرسالة.

وأتقدّم بخالص الشكر والتقدير والإمتنان للأستاذ الكريم الدكتور سيّد على مير لوحي الذي أفادني بإرشاداته القيمة في مسير إعداد هذه الرسالة.

وأعرب عن وافر شكري و جُلّ امتناني إلى الأُستاذين الفاضلين الدكتور نصر الله شاملي والدكتور ماجد نجاريان اللذين تقبّلا مهمّة قراءة رسالتي.

وأتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذي الكريم الدكتور سيد محمد رضا ابن الرّسول الذي لايألو جهدًا في تعليم الطّلاب علمًا.

و لا يفوتني أن أعرب عن جميل شكري لأساتذتي الأعزاء الذين تتلمذتُ لديهم طيلة دراستي بجامعة إصفهان، أرجو لهم التوفيق والنّجاح الباهر.

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني على إعداد هذا الأثر و أبدى لي ملاحظاته بشأنه.

وأشكر أيضًا مسؤولي مكتبة كلّية اللّغات الّذين تفضّلوا عليَّ بما يفوق واجبهم، راجيًا للجميع التّوفيق والنّجاح.

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى

مولانا وصاحب عصرنا الحجة بن الحسن العسكري

أرواحنا له الفداء

ثم

إلى الذين أنا مدينةٌ لهما بحياتي وفكرتي

أبي وأمّي

چکیده

کتاب العمده فی محاسن الشعر وآدابه ونقده اثر ارزشمند دانشمند بزرگ ابن رشیق قیروانی است که از نمونه آثار جاودانه و درخشان در زمینه نقد و علوم بلاغی و شعر و ادب به شمار می‌رود. بخش علوم بلاغی کتاب دارای فصل‌های متنوع و مختلف در بخش‌های سه‌گانه معانی، بیان و بدیع است. مؤلف برای فهم بیشتر مطالب، نمونه‌های قرآنی و شعری بسیاری را به عنوان شاهد مطرح کرده است. تحقیقی که هم اکنون در دست شماست به شرح و توضیح شاهدهای شعری و قرآنی بخش بلاغت این کتاب در پنج فصل مطابقه، ما اختلط فیه التجنیس بالمطابقه، مقابله، تقسیم وتسهیم پرداخته است.

پژوهشگر پس از یافتن سراینده هر بیت، نام و سال ولادت و وفات او را ذکر کرده است. سپس به بحر بیت هم اشاره کرده و آن گاه با استفاده از لغت‌نامه معتبر المعجم الوسیط واژگان مهم شاهد را معنی کرده است. معنی شاهد به زبان عربی و فارسی از دیگر مواردی است که در ذیل هر شاهد بدان پرداخته شده است. نیز در صورت وجود اختلاف در روایت اشعار، موارد اختلاف و مطلع قصیده‌ای که بیت شاهد جزء آن است نیز بیان گردیده است. در قسمت بیان شاهد هر بیت به موضع استشهاد مؤلف کتاب به بیت اشاره شده و شرح مفصل داده شده است؛ مثلاً در باب مطابقه به بیان نوع مطابقه وشرح آن ودیگر فنون بلاغی موجود در بیت پرداخته شده است. مصادر و مراجع مورد استفاده نیز به شیوه درون متنی آمده است.

از آن جا که این کتاب به عنوان یک کتاب نقدی مهم مورد استفاده پژوهشگران و به خصوص دانشجویان است، امیدواریم نتایج تحقیق حاصل بتواند برای پژوهشگران مفید باشد.

واژه های کلیدی: ابن رشیق قیروانی، کتاب العمده، بلاغت، شواهد قرآنی، شواهد شعری.

الملخص

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني من الكتب التي كثيرًا ما يراجعها الباحثون في الأدب العربي وفيه أبواب مختلفة في موضوعات شتّى مفيدة وفيه كثير من الأبيات والآيات التي استشهد بها ابن رشيق لبيان الموضوع الذي يتحدث عنه. وهذا البحث الذي بين أيديكم قدم بدراسة الشواهد البلاغية في هذا الكتاب وأختار خمسة فصول.

يشير البحث إلى البحر العروضي للأبيات وقائليها. إن ابن رشيق وإن أشار إلى قائلي الأبيات في كثير من المواضع ولكنه في بعضها القليل أخطأ والبحث يتكفل مهمة الإصلاح ويحاول العثور على أسماء قائلي الأبيات كما ضبط في المصادر المعتبرة.

وهذا البحث يهتم بشرح الكلمات الصعبة معتمدًا على المعجم الوسيط ، وهناک شرحٌ للبيت وترجمته بالفارسية وكل هذا توطئة لذكر الشاهد وفي قسم الشاهد تشير الباحثة إلى موضع استشهاد المؤلف بالآية الكريمة أو البيت وتشرحه شرحًا كاملًا؛ فمثلًا في باب المطابقة تتوجه إلى نوع المطابقة ويشرحه، ثم تأتي بسائر الفنون البلاغية التي توجد في البيت، وفي الأخير تأتي بالمصادر التي استفادت منها. رأت الباحثة من الضروري أن تخصص قسمًا في بداية كل باب للتوضيح الأكثر حول موضوع ذلك الباب و لم تقصر في هذا الأمر.

فهذا البحث تمهيد لتعرّف القارئ الكريم على شرح الشواهد في هذه الفصول الخمسة والاطلاع على آراء ابن رشيق النقدية، رجاء أن يوفي الموضوع حقّه من الشرح.

الكلمات الرئيسية: ابن رشيق القيرواني، العمدة، البلاغة، الشواهد القرآنية، الشواهد الشعرية.

الفهرس

العنوان **الصفحة**

التمهيد ..... د

الفصل الأول: كليات البحث

١-١- بيان المسألة ١

١-٢- خلفية البحث ٢

١-٣- أهداف البحث ٢

١-٤- أهمية البحث ٢

١-٥- أسئلة البحث ٢

١-٦-١- نبذة عن حياة ابن رشيق القيرواني ٣

١-٦-٢- مولده ٣

١-٦-٣- بيئته ٣

١-٦-٤- أخلاقه ٤

١-٦-٥- أساتذته وتلامذته ٤

١-٦-٦- مؤلفاته ٥

١-٦-٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٦

١-٦-٨- وفاته ٨

الفصل الثاني: باب المطابقة

٢-١- الطباق في اللغة ٩

٢-٢- الطباق في البلاغة ١٠

٢-٣- صور الطباق ١١

٢-٤- أنواع الطباق ١٣

٢-٤-١- الطباق الإيجاب ١٣

٢-٤-٢- الطباق السلب ١٣

٢-٤-٣- الطباق الحقيقي والمجازي ١٣

العنوان **الصفحة**

٢-٤-٤- الطباق بين السلب والإيجاب..... ١٤

٢-٤-٥- طباق الترديد..... ١٥

٢-٤-٦- الطباق الخفيّ ١٥

٢-٤-٧- الطباق الوهمي ١٥

٢-٤-٨- الطباق الفاسد ١٦

٢-٥- التدبيج ١٦

٢-٥-١- التدبيج لغةً واصطلاحًا..... ١٦

٢-٦- شرح الشواهد في فصل المطابقة ١٨

الفصل الثالث: باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

٣-٢- شرح الشواهد في باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة ٦٢

الفصل الرابع: باب المقابلة

٤-١- المقابلة في اللغة ٧٨

٤-٢- المقابلة في الاصطلاح..... ٧٨

٤-٣- أقسام المقابلة..... ٧٩

٤-٣-١- المقابلة بالمعنى ٧٩

٤-٣-٢- المقابلة بالألفاظ ٧٩

٤-٤- الفرق بين المقابلة والمطابقة..... ٨٠

٤-٥- شرح الشواهد في باب المقابلة..... ٨٥

الفصل الخامس: باب التقسيم

٥-١- التقسيم لغةً ١٢٨

٥-٢- التقسيم في الاصطلاح..... ١٢٩

٥-٣- أنواع التقسيم ١٣١

٥-٤- التقطيع..... ١٣٢

٥-٥- التقسيم الضّد ١٣٤

العنوان **الصفحة**

٥-٦- عيوب التقسيم ١٣٤

٥-٧- شرح الشواهد في باب التقسيم..... ١٣٥

الفصل السادس: باب التسهيم

٦-١- التسهيم في اللغة ٢٢٨

٦-٢- التسهيم في الاصطلاح ٢٢٨

٦-٣- الفرق بين التوشيح والتسهيم..... ٢٢٩

٦-٤- أنواع التسهيم..... ٢٢٩

٦-٤-١- دلالته لفظية ٢٣٠

٦-٤-٢- دلالته معنوية..... ٢٣٠

٦-٥- جمالية الإرصاد ٢٣٣

٦-٦- فصل في شواهد باب التسهيم..... ٢٣٤

النتيجة ٢٥٦

فهرس الآيات القرآنية والأحاديث ٢٥٧

فهرس شواهدالأبيات..... ٢٥٩

المنابع والمصادر..... ٢٦٦

التمهيد

الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بعجيب البلاغة وسحر البيان، والصلاة على من تبوّأ من الفصاحة ذروتها واقتعد من البلاغة مكان صهوتها المصطفى من أطيب العناصر والحائز لقصب السبق من المعالي وأشرف المفاخر، وعلى آله الطيبين أطواد العلم الراسخة ومثاقيل الحكم الراسخة.

أما بعد فإن أشرف العلوم وأكرمها هي التي تخدم كتاب الله الكريم وسنّة نبيه العظيم والتي تدور في فلكيهما، وعلم البلاغة واحد من تلك العلوم الشريفة ولد في أحضان كتب «إعجاز القرآن» وتربّي على أيدي علماء عكفوا طوال حياتهم على تذوّق كتاب الله بعقولهم وعيونهم، وسطروا في ذلك أعظم الآثار وأجلّها.

ومن الكتب التي اهتمت بهذا العلم وفنونه المختلفة هو كتاب ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*** لابن رشيق القيرواني الذي تفشّت شهرته الآفاق. يمتاز هذا الأثر عن مؤلفات سابقيه ومعاصريه من حيث الحجم وتوسّعه في الأمثلة والشواهد الشعرية والقرآنية، متتبعًا في تنسيق مواده المنهج الفني مع تطرقه إلى النواحي التاريخية كبقية نقاد العرب. وعمل ابن رشيق في هذا الكتاب عمل جمع وتبويب، لا عمل بحث ودرس، وإن كانت له من حين لآخر التفاتات وتفسيرات وملاحظات دقيقة تنمّ عن سعة اطّلاعه وبصره بالشعر.

والدافعُ الأساسي لاختيار هذا الموضوع كرسالة للماجستير هو رغبةُ الباحث في مسائل هذا العلم بالإضافة إلى أن هذا الكتاب من الكتب التي يراجعها الطلاب كثيرًا.

وقد اقترح الدكتور السيد رضا سليمان زاده نجفي أن يُختار هذا الكتاب لبيان وشرح شواهده البلاغية في قالب رسالة للماجستير، فوافقت لجنة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية على اختيار الموضوع، وبما أن الشواهدَ كانت كثيرةً قررت اللجنة أن يُعالج كلُ واحد من الطلاب بعضَ الأبواب من هذا الكتاب، فصارت حصّتي خمسةَ أبواب، وهي المطابقة، ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، المقابلة، التقسيم والتسهيم.

هذه الرسالة تُعالج المسائلَ الآتيةَ:

١ – «البحر»؛ وهو بيانُ البحر العروضي للبيت الشاهد.

٢ – «القائل»؛ وهو الإشارةُ إلى قائل الأبيات وذكر سنة ولادته ووفاته.

٣ – «اللغة»؛ وهي شرح وتوضيح الكلمات الصعبة.

٤ – «الإعراب»؛ وهو بيانُ النكات النحوية الهامة في الشواهد.

٥ – «المعنى»؛ وهو شرحُ الأبيات والآيات بصورة موجزة وترجمتها بالفارسية.

٦ – «الشاهد»؛ وهو الإشارةُ إلى موضع استشهاد ابن رشيق بهذه الشواهد وشرحها وتوضيحها توضيحًا كاملًا، والإشارة إلى محسنات بديعية أخرى فيها، لو وجدت.

منهج البحث:

إن ابن رشيق أدخل أمثلةً كثيرةً في أبواب المطابقة، ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، المقابلة، التقسيم والتسهيم في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده والشواهد الشعرية أكثر من الشواهد القرآنية وفي كثير منها أشار المؤلف إلى القائل ولكنه في بعض الأحيان أخطأ في نسبة الشعر إلى شاعره وفي الآخر لم ينسب الشعر، ولهذا قمت بإرجاع الشواهد إلى قائليها أو إصلاح خطأ ابن رشيق واعتمدتُ في هذا العمل على كتب متعددة منها: دواوين الشعراء و «الأعلام» و «معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٣م» وغيرها من الكتب والبحث في قسم «القائل» ذكرتُ الاسم المشهور والاسم الصغير للقائل وسنة ولادته ووفاته داخل علامة () والرقم المكتوب في اليمين هو سنة الولادة والرقم المكتوب في اليسار سنة الوفاة. وإذا لم أعثر على سنة ولادة القائل في كتب التراجم لم أذكرها وكتبتُ مثلًا (ت٢٦هـ) و (ت) اختصار لتوفي، فللعثور على الاسم الشهير راجعتُ كتابًا فارسيًا باسم «فهرست مستند اسامي مشاهير ومؤلفان» وهناک بعض الإختلافات في رواية الأشعار وذكرتُ هذه الإختلافات في قسم «الرواية» وللعثور على هذه الاختلافات لم يكن بُدٌّ من مراجعة دواوين الشعراء في الطبقات المختلفة وأشرتُ إلى هذه الكتب في فهرس المآخذ. هناک ذكر مطلع القصيدة وبيان الموضوع الكلي للقصيدة التي منها البيت الشاهد.

اعتمدتُ في بيان مفردات الشواهد على *المعجم الوسيط* وركّزتُ عليه وهناک بعض إرجاعات إلى لسان العرب في عدة قليلة من الكلمات. اهتممتُ بإعراب الأبيات وإذا كانت هناک نقطةٌ هامةٌ في إعرابها أشرتُ إليها في قسم «الإعراب». وهناک شرح البيت أو معناه وترجمته بالفارسية وكُل هذه كمقدّمة لبيان الشاهد أو موضع الاستشهاد الذي هو المقصود وبما أن أبواب «المطابقة، ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، المقابلة، التقسيم، التسهيم» تندرج تحت علم البديع استعنتُ بالكتب البلاغية والأدبية الكثيرة منها: أسرار البلاغة، البديع و... وفي توضيح الآيات القرآنية، استفدتُ من ترجمة القرآن الكريم لعبد المحمد آيتي.

والجدير بالذكر أن رقمًا تحت الشواهد يدل على رقم المجلد وصفحته في كتاب العمدة والرقم فوقه يدلّ على رقم حصّتي؛ لأنّ حصّتي التي كانت أبواب «المطابقة، ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، المقابلة، التقسيم، التسهيم» تقع بعد أبواب أخرى تكفل شرح شواهدها أصدقائي الآخرون. إنّ ابن رشيق زيّن كتابه ببعض آرائه النقدية ولجمع هذه

الآراء والإشارة إليها وفهم القارئ الشواهد رأيتُ أن أجعل في بداية كل باب مبحثًا يتعلق بذلك الباب مُشيرةً إلى آراء ابن رشيق مثلًا في باب المطابقة جمعتُ المعلومات حول المطابقة، معناه اللغوي والاصطلاحي وتطوّره عبر العصور وأنواعه.

الفصل الأول

كليات البحث

١ ـ بيان المسألة:

البلاغة من أهم العلوم في الأدب العربى ولها طرفان: أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو مبدأ البلاغة. والبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة، لها فى النفس أثر خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذى يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون. واختلاف الظروف التى يقال فيه الكلام يقتضى هيئة خصوصية من التعبير ولكل مقام مقال. والبليغ هو الذى يراعى كل هذه الأمور. إنّ البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: المعاني، البيان والبديع. وإذا كان المعاني والبيان يختصان بأساس الكلام وجماله الباطني فعلم البديع يختص بجماله الظاهري.

وهناک كتب ومصنفاتُ مختلفةٌ ومتنوعةٌ حول هذا العلم، وفي الحقيقة فائدة هذه الكتب البلاغية تعود إلى بيان إعجاز القرآن الكريم الذي حارت عقولُ كثير من البلاغيين أمامَ بلاغته وفصاحته .

من الكتب التي اهتمت بالبلاغة وأتت بأمثلة شعرية وقرآنية مختلفة لإيضاح المباحث البلاغية هو كتاب "العمدة" لابن رشيق القيرواني، ولكن التوضيحات ذيل هذه الأمثلة ناقصة، وفي هذه الرسالة نريد أن نشرح هذه الشواهد من الأبيات الشعرية والآيات القرآنية من الصفحة (٥٧٦) إلى الصفحة (٦٢١) باب المطابقة، ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة، المقابلة، التقسيم والتسهيم ونبحث عن هذه الأشعار في دواوين الشعراء والكتب البلاغية، ونورد آراء البلاغيين حول البيت.

١ ٢ خلفية البحث:

شُرح كثيرٌ من الكتب البلاغية من جانب الباحثين في كل عصر وزمان إلى حد يكون لبعض هذه الكتب عدة شروح. مع هذا لم يكن يهتم الباحثون لحد الآن بشرح كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني، في حال أن لصاحب هذا الكتاب آراء ممتازة في باب البلاغـــة ومن المناسب أن تقارن آراؤه مع آراء ناقـــدي علم البـــلاغة الآخرين.

١ ٣ أهداف البحث:

١. شرح الشواهد البلاغية [الآيات القرآنية] في كتاب العمدة وإيراد إيضاحات الواردة في الكتب التفسيرية.
٢. شرح الشواهد البلاغية [الأشعار] في كتاب العمدة والإتيان بتوضيحات أكثر .
٣. معرفة أسلوب المؤلف (ابن رشيق) في تأليف كتابه .
٤. تعيين مدى استخدام الشعراء أنواع المحسنات والصنائع البلاغية وتعيين قدر أهميتها .

١ ٤ أهمّية البحث:

بما أنّ كتاب العمدة لابن رشيق، هو الكتاب الذي يراجعه الطلاب كثيرًا وبما أنّ فيه أشعارًا كثيرة أشار المؤلف إليها واستخدمها كشواهد في ذكر كل بحث بلاغي، فهذا البحث يرمي إلى توضيح هذه الشواهد [من الأشعار والآيات] والإشارة إلى الصنائع والشواهد البلاغية الأخرى التي لم يشر المؤلف اليها، راجيًا أن يكون هذا البحث مفيدًا للطلاب عند مراجعتهم هذا الكتاب ويحصلون على المواضيع البلاغية الأخرى.

١ ٥ أسئلة البحث:

١-هل تشمل الشواهد البلاغية التي استخدمها ابن رشيق في كتابه العمدة، الصنائع البلاغية الأخرى ؟

٢-ما هي الشواهد البلاغيه الفريدة الجديدة التي استخدمها ابن رشيق في كتابه العمدة ؟

١-٦- نبذة عن حياة ابن رشيق القيرواني:

ليس جديدًا أن يعرف أحدنا ابن رشيق القيرواني اذ هو أحد أعمدة الثقافة في القيروان في القرن الخامس الهجري. وبما أن هذه الرسالة تتعلق بكتاب هذا العالم الكبير وهو العمدة في محاسن الشعر وآدابه فلا بد لنا أن نتعرف على هذا العالم وحياته أكثر.

١-٦-١- مولده

أبوعلى، الحسن بن رشيق القيرواني، ولد سنة ٣٩٠ ه في المسيلة إحدى قرى المغرب. والده كان روميًا وكان مولىً من موالى الأزد و لم يكن له شأن في ملک أو سلطان وإنما كان رجلًا يحترف صياغة الذهب. كان ابن رشيق روميًا في أصل النسبة عربيًا بالولادة واللسان والمنشأ والمربى.

اشتغل ابن رشيق في أيامه الأولى في حرفة أبيه ولكنه نزع منذ طفولته إلى الأدب وإلى حيث يمكن أن يجد بغيته في دراساته التى كانت تنعقد بالجامع الكبير في القيروان. بعد رحلته إلى هذه المدينة وعمره ست عشرة سنة. وجد في طلب العلم والأدب ونظم الشعر حتى علا شأنه. ثم أخذ يتقرب بالمدح إلى صاحب القيروان المعز بن باديس الصنهاجي فلما تحقق ابن باديس مكانته من الأدب ومحله من قول الشعر قربه وألحقه بديوانه (الزركلي، ٢: ٢٠٤ ، فروخ، ٤: ٥٥١).

١-٦-٢- بيئته

القيروان لفظ فارسي أصله (كاروان) وهو من الألفاظ المعربة قديمًا قبل امرئ القيس بقوله:

وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال

(امرئ القيس، ١٩٢)

والقيروان مدينة في بر تونس أول من اختطها سنة ٥٥ ه، عقبة بن نافع بن عبد القيس الكناني. وكان عقبة قد بناها في طرف البر بعيدًا عن البحر لئلا تطرقها الروم بمراكبها وأول ما اختط فيها دارًا للعمارة ومسجدها الجامع ثم اختط الناس دورهم حولهما (الحموي٥: ٤٨).

وقد بلغت القيروان ذروتها في القرن الخامس الهجري في عهد باديس ابن منصور (ت ٤٠٦ ه) وابنه المعز بن باديس الصنهاجي الأفريقي.... ثم انتهت نهاية غير طبيعية إذ تهاوت على يد بنى هلال و هى فى ذروتها ... وسبب ذلك أنّ المعز بن باديس تحول عن مذهب الفاطميين بمصر وخلع طاعتهم واتّجه يدعو على المنابر للعباسيين ابتداءً من سنة ٤٣٩ ه مما أحنق الفاطميين عليه فكانت نهاية القيروان سنة ٤٤٧ ه وقيل ٤٤٩ ه (ابن الأثير،٩ : ٩٤ ، ابن خلدون ٦ :،١٥٩ والقلقشندى ٥ :١٢٤).

وإذا كان ابن رشيق قد عرض للأحداث التى جرت للقيروان فى عدد من أشعاره وما حلّ فيها من خراب على يد الأعراب، عاش أزهى أيامه إبان إزدهارها الحضارى والعلمى والأدبى ولقى فيها حظًا كبيرًا مذ قدم إليها سنة ٤٠٦ ه.ق (الحموي ٨ :١١٠).

فالقيروان كانت فى القرن الخامس الهجرى، مركزًا علميًا أدبيًا فنيًا حضاريًا وقد انتقلت إليها الثقافة المشرقية بسرعة كبيرة فضلاً عن ثقافة الأندلس وانتقلت معها اختلافات أهل المشرق حول القضايا الأدبية والنقدية واللغوية (عويضة٢٠).

١-٦-٣- أخلاقه

فيما يتصل بأخلاق ابن رشيق يُذكر جانبان فجانب يتصل بسلوكه الاجتماعى وآخر يتصل بسلوكه العلمى فأما عن سلوكه الاجتماعى فأول صفاته إنّه كان يؤثر السلام وموادة الناس ويتجنب كل ما يجرّ عليه عداوتهم وكانت فيه أيضًا قناعة تصل به إلى حدّ القنوع والرضا بالمترل السهل والبعد عن المغامرة والإقدام ولذلك نراه عاش حياته كلها فى طريق واحد لم يجترئ على تبديله وتغييره. وأمّا بالنسبة إلى سلوكه العلمى فنرى فيه أمانة العلماء وتواضعهم ومعرفته بمقدار نفسه ومقادير شيوخه ومن يأخذ عنهم (عويضه ٣١ - ٤٠).

١-٦-٤- أساتذته وتلامذته

إنّ المتأمل فى كتاب «العمدة» خاصة وما روي عن ابن رشيق من اخبار تبيّن له إنّه تتلمذ على أيدي أساتذة كثيرين وأخذ عنهم مشافهة أو مناقشةً أواملاءًا أو دراسة كتبهم ومناقلة عنها. يمكن أن نشير إلى أبرزهم:

١ - أبومحمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي القيرواني، وُلد بالمحمدية وتوفي بالقيروان سنة ٤٠٥ ه وهو أعظم أساتذته تأثيرًا فيه وله نقول كثيرة عنه فى «العمدة» وهو صاحب كتاب (الممتع في علم الشعر و عمله) وعنه صدر ابن رشيق في رسم بعض أبواب العمدة وأقواله (ابن خلكان، ١٧ :١٠٦، الصفدي ١٠٦:١٧؛ والقيرواني، ١ :١١٢، ١٢٠، ٢٤٧).

٢ -أبوعبدالله التميمى، محمد بن جعفر القزاز، إمام علامة في اللغة والأدب عاش تسعين سنة ومات سنة ٤١٢ ه بالقيروان. أثر القزاز واضح في العمدة فعنه أخذ أوزان الشعر وقوافيه وباب الرخص الشعرية فهو اعتمد على كتاب (الضرائر الشعرية) للقزاز وقد تتلمذ على يده بضع سنوات وجعله مقاربًا للأزهري في اللغة.

(القيرواني، ١ :١٠٧، ١٣١ ، ١٣٤ و٢ :٢٦٩؛ الصفدي١٢: ١١؛ الحموي١: ٣١و ٧: ١٠٩).

٣ - أبواسحق الحصري القيرواني شاعر ناقد عالم بتنزيل الكلام وتفصيل النظام ، أديب بليغ باحث. التقاه ابن رشيق صغيرًا وأفاد منه في كتابه (زهرالآداب) في باب وحدة القصيدة (الحصري القيرواني٢ :١٦ ، والقيرواني١ :٢٣٨ -٢٤٠).

٤- الشيخ أبوعبدالله عبد العزيز بن ابي سهل الخشني الضرير، لم يُعرف ضرير أطيب منه نفسًا ولا أكثر منه حياءًا مع دين وعفة. وقد أخذ عنه ابن رشيق في «العمدة» باب (القطع والطوال) وكان قرأه في كتب الجاحظ وهو إمام في اللغة والنحو والنقد .(القيرواني٢: ١٧٦؛ ابن خلكان،٢: ٨٧؛ الجاحظ١ :٢٠٦ - ٢٠٩).

وحين ذكرنا أساتذته لايفوتنا أن نشير إلى بعض تلامذته أيضًا فهناک من اُعجب بابن رشيق شعرًا ونقدًا فحذا حذوه منهم : أبومحمدعبدالله بن يحيى بن حمود الخزيمي وأبوعبدالله الصقارالصقلي وابوعمرعثمان بن على بن عمر الخزرجي الصقلي الذي ألف (مختصر العمدة). (الحموي٧: ١٠٩).

١-٦-٥- مؤلفاته

يذكر الرواة أنّ ابن رشيق ترك أكثر من ثلاثين كتابًا. فمن تلك الكتب :

١ - العمدة في صناعة الشعر ونقده وهو الكتاب الذي حمل اسم ابن رشيق وجعله في عداد الخالدين من أعمال العرب .

٢ - قراضة الذهب في نقد أشعار العرب

٣ - أنموذج الزمان في شعراء القيروان

٤ - الشذوذ فى اللغة

٥ - الرسائل الفائقة والنظم الجيد

٦ - ساجور الكلب

٧ - نجح الطلب

٨ - قطع الأنفاس

٩- نسخ الملح وفسخ اللمح

١٠ - سرالسرور

١١ - شرح موطأ مالک

١٢ - تاريخ قيروان

١٣ - الروضة الموشية في شعراء المهدية

١٤ - المساوىء في كشف السرقات الشعرية

١٥ - ميزان العمل في تاريخ الدول

١٦ - طراز الادب

١٧ - الممادح والمذام

١٨ – الاتصال

١٩ – تحرير الموازنة

٢٠ – المن والغدا

٢١ – كتاب الرياحين

٢٢ – صدق المدائح

٢٣ – معالم التاريخ

٢٤ – اثبات المنازعة

٢٥ – الحيلة والاحتراس

٢٦ – الأسماء المعربة

(ابن خلكان، ٢: ٨٨، الحموي ٧: ١١٠، عويضه٤٤؛ حاجي خليفة، ٥ :٢٧٩)

هذه الأسماء للكتب توجد منثورة في بطون الكتب ولكن ما إن يُذكَر ابن رشيق حتى يتذكر السامع كتاب «العمدة».

١–٦–٦– العمدة في محاسن الشعر وآدابه

ألف ابن رشيق كتابه هذا لأبي الحسن علي بن ابي الرجال الشيبانى المتوفي سنة ٤٢٥ ه (العمدة ١ : ١٥).

واستمد اسم العمدة من كلام ابن رشيق في خطبة الكتاب وفيها يحدّد منهجه وسبب تأليفه له فيقول: «فقد وجدتُ الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن تقبل شهادته وتمثيل إرادته ووجدت الناس مختلفين فيه، مختلفين عن كثير منه: يقدمون ويؤخرون ويقلون ويكثرون، قد بوبوه أبوابًا مبهمة و لقبوه ألقابًا متهمة وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهبًا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه فجمعت أحسن ما قاله كلّ واحد منهم في كتابه ليكون (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) إن شاء الله تعالى». (القيروانى ١ :١٦)

ويبدو انّه أوّل مؤلفاته لقوله في نهاية خطبة الكتاب :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه و اوّل الغيث قطر ثم ينسكب

(المصدر السابق١ : ١٩)

ولهذا نجد أن منهج المؤلف لايقلّ وضوحًا عن هدفه، فهو يعوّل على قريحته فيجمع بين الروايات رجاء الاختصار وخشية التكرار إلاّ ما تعلق منه بنص معين ... «بعد أن قرنت كل شكل بشكله ورددت كل فرع إلى أصله وبيّنت للناشئ المبتدئ وجه الصواب فيه وكشفت عنه لبس الارتياب به» (المصدر السابق١: ١٧).